المقدمة

يُروى أن شارل ديغول ذات يوم التفت إلى سيدة من الطبقة العليا تجلس إلى جانبه في مأدبة عشاء فسألها، محاولاً فتح الحديث معها "ما رأيها بالتاريخ". قالت السيدة كلاماً ما معناه أنها تحب التاريخ. صُدم ديغول برؤية شخص ما ينظر إلى التاريخ نظرة إيجابية في أعقاب حربين عالميتين، فأجابها ببرود "أنا لا أحبه" ثم انصرف عنها وأمضى بقية المساء متحدثاً إلى السيدة الجالسة إلى جانبه الآخر.

مع ذلك فإن التاريخ يفاجئنا بين الحين والآخر وينتج شيئاً ما إيجابياً بكل وضوح. ونحن الآن - وأقصد ليس مجرد الزمن الحالي، بل العقد ونصف العقد من السنين منذ انهيار جدار برلين، الذي أنهى الحرب الباردة- نختبر أحد تلك الأوقات.

إن ما يمنحنا إياه التاريخ نادر وثمين ولكنه فرصة هشة للدخول في عصر من السلام بأكمله، والرخاء، والحرية. الدافع إلى هذا الكتاب هو قلق عميق من جراء عدم استفادة الولايات المتحدة من الفرصة استفادة كاملة. خلال التسعينيات من القرن العشرين لم تفعل إدارة كلينتون سوى القليل جداً لتكييف العالم، وأقرب من ذلك زمنياً حاولت إدارة جورج دبليو بوش كثيراً أن تقوم بعمل زائد

عن الحد أو حاولت أن تفعل أشياء أكثر مما يجب بطريقة خاطئة. وبالتالي فإن النتيجة هي نفسها. إننا نجازف بتبديد الفرصة التاريخية المتاحة.

لقد انقضى نحو عقد من السنين منذ أن ألفت كتاباً نشر تحت عنوان "مسؤول الشرطة المتردد" the reluctant sheriff. ذلك الكتاب كان يحاجّ بأن عالم ما بعد الحرب الباردة كان نسبياً بدون بنية- هذه صيغة عصرية لما يسمى "الغرب القفر" الأمريكي في القرن التاسع عشر- وذلك بغياب ترتيبات واضحة للتعامل مع تحديات عالم ما بعد الحرب الباردة، وكان على الولايات المتحدة أن تنظم وتقود تحالفات من دول ومنظمات مستعدة ومقتدرة و(أتباع posses) لمواجهة تحديات الزمن. وما كان يقلقني آنذاك هو أن إدارة كلينتون بانحيازها الأول داخلياً-الذي كان التعبير عنه "إنه الاقتصاد يا غبي"-كانت في الجزء الأكبر منها معارضة لاستثمار الزمن والموارد التي تدعو إليها الحاجة من أجل النجاح في العالم، وهكذا كان من شأننا أن نبدد الفرصة الاستثنائية المتاحة لنا[1].

ما كنت لأكتب مثل هذا الكتاب الآن. لقد تغير العالم كثيراً. نحن لا نعمل فقط في فترة ما بعد الحرب الباردة، بل نحن الآن في فترة ما بعد 11 سبتمبر وفي حقبة ما بعد حرب أفغانستان وما بعد حرب العراق. بل يمكن القول إن ما تبدل أكثر هو الولايات المتحدة وسياستها الخارجية. ومسؤول الشرطة يكاد من الصعب وصفه بأنه متردد. المعجبون بسياسة جورج دبليو بوش الخارجية

قد يستقر رأيهم على أنها "حازمة" أما منتقدوها فيستقر رأيهم على أنها "متهورة". في كلتا الحالتين السياسة الخارجية والأمن القومي هما مرة أخرى من الأولويات الأمريكية، والولايات المتحدة مستعدة (كما رأينا) لاستخدام قوتها الهائلة، ولا سيما القوة العسكرية، مع بضعة من الأتباع إذا ما قررت وعندما تقرر ذلك.

وبالرغم من عدة تطورات إيجابية حدثت مؤخرا، فان الولايات المتحدة ليست ناجحة دائما. فالعداء لأمريكا بلغ مستويات قياسية.إن شن الحرب وكسبها أسهل من تثبيت السلام والتفاوض بشأنه. والديمقراطية يصعب غرسها في النفوس ويستحيل تثبيتها. وأولويات الأمور العسكرية يجب أن لا تخلط بالأمن، وأقل من ذلك أن لا تخلط بقابلية عدم التعرض للخطر. خلاصة القول أن الأمريكيين لن يتمكنوا من معالجة تحديات العولمة بنجاح وحدهم دون مشاركة آخرين.

إن الأفكار التي استقيت منها معلومات هذا الكتاب تشكلت على مدى عدة سنوات مضت. كنت مديراً لتخطيط السياسة في وزارة الخارجية الأمريكية من مطلع العام 2001 وحتى منتصف العام 2003، وبصفتي هذه عملت عن قرب مع كولن باول، ومع كوندوليزا رايس ومع آخرين في مجال بعض الجهود المركزية للسياسة الخارجية التي بذلتها الإدارة. وهذا العمل شمل المساعدة في إيجاد استراتيجية للأمن القومي نشرت في شهر سبتمبر 2002، وهي استراتيجية احاطت بأهمية بناء علاقات جيدة

والمحافظة عليها مع قوى كبرى أخرى، بالنسبة للولايات المتحدة. قبل نشر الوثيقة ببضعة أشهر، ألقيت في شهر أبريل عام 2002 خطابا أمام جمعية السياسة الخارجية تحدثت فيه بتفصيل واسع عن هذا الموضوع. والكثير من هذه الأفكار شذبتها أكثر في خطاب ألقيته في شهر مارس 2004 أمام اللجنة الوطنية للسياسة الخارجية الأمريكية بمناسبة تسلمي جائزة هانس ج. مورغنتاو Hans J.Morgenthau، في ذلك الحين كان هذا الكتاب قد قطع شوطا لا بأس به نحو اكماله، ولكن رد الفعل على ما كنت أريد أن أقوله قد شجعني على إكماله.

المسودة الأولى لكتاب " الفرصة" اكتملت في الأول من نوفمبر 2004، في اليوم السابق للانتخابات الرئاسية، وقد كتبتها دون معرفة من سيكون الفائز. كانت الغاية إنتاج كتاب ذي علاقة على قدم المساواة اما مع إدارة بوش الثانية أو إدارة كيري الأولى. أرجأت نشر هذا الكتاب خلال السباق في انتخابات شهر نوفمبر لسبب آخر، هو أنني لم أرغب في أن ينظر الى الكتاب في ضوء سياسي أو أن ينظر اليه بأي شكل وكأنه محاولة من جانبي للتأثير في نتيجة تلك الانتخابات. أقول كل هذا الكلام ليس نتيجة شعور متضخم بأهميتي وانما لأن كلام مسؤول سابق يمكن أحيانا أن يكون له تأثير ذو علاقة بالسياسة والتوقيت أكثر مما له علاقة بنوعية أفكار المسؤول السابق أو المسؤولة السابقة.

عندما كتبت هذا الكتاب كنت رئيس مجلس العلاقات الخارجية، وهو منظمة مستقلة أعضاؤها من سائر أطياف البلد وهو مركز علماء نذروا أنفسهم لتقديم ونشر أفكار تمكّن الناس في كل مكان من فهم أفضل لخيارات السياسة الخارجية التي تواجه الولايات المتحدة وحكومات أخرى. والمجلس منظمة غير حزبية حتى العظم. أنا لا أتحدث باسم المجلس الذي لا يتخذ مواقف مؤسسية.ولا أتحدث باسم العديد من الأفراد أو الأعضاء المنضوين فيه وكلهم مستقلون الى أقصى حد. هذا الكتاب يمثل تفكيري، لا أكثر (وآمل) لا أقل.

ريتشارد ن. هاس

نيويورك، مارس 2005